ISSN: 1810 - 8237

ملحق رقم 7/ 2005
Supplement 7/2005

UNESCO

يونيفوك
المركز الدولي
للتعليم والتدريب التقني والمهني

# منتدى يونيفوك - 7
# UNEVOC Forum - 7

## العمال كمتعلمين والمتعلمون كعمال:
## لماذا يحتاج مجتمع المعرفة إلى قوّة عمل مفكّرة، وكيف الوصول إلى ذلك؟

*السيد بيتر سميث*
*مساعد المدير العام للتربية*
*اليونسكو - باريس*

ألقيت هذه الكلمة في الجلسة الإفتتاحية للندوة الدولية التي عُقدت في بون من 8 - 10 أيلول/سبتمبر من العام 2005، تحت عنوان: «**المضمون المهني في التعليم العالي الشامل: إستجابات لتحديات سوق العمل وموقع العمل**. نظّم هذه الندوة كلٌّ من مركز اليونيسكو الدولي للتعليم والتدريب التقني والمهني - بون ومركز اليونسكو الأوروبي للتعليم العالي (UNESCO-CEPES)، بالتعاون مع مركز كُنت التعليم المقارن والدولي في جامعة أكسفورد. وتندرج هذه الندوة في إطار مشروع أوسع مشترك ما بين مركز اليونسكو الأوروبي للتعليم العالي (UNESCO-CEPES) والمركز الدولي - بون يهدف إلى البحث في المضمون المهني في التعليم العالي الحالي وتوجّهاته.

>> ها أنّ بعض الخوف ينتابني وأنا أقف أمامكم لعلمي بأن الحضور الذي يفترض بي التوجه إليه هو أكثر اطلاعاً بتفاصيل وخصائص الموضوع مني شخصياً، ولعلمي بأنني محاط بخبراء متمرسين في هذا المجال. في الواقع، اتهمني البعض أحياناً بالانشغال بصفةٍ ذهنيّة تُدعى «البصيرة الناصعة» بعبارة أخرى بصيرةٌ لم تكسها الوقائع! لهذا السبب سأكون اليوم حذراً بقدر المستطاع لحرصي ألاّ أُحرجَ نفسي في وجود هذا الكمّ من المهارات والخبراء.

أودُ أن أشكرك سيد ماكلين على هذه المقدّمة كما أرغبُ في أن أُخبركم قصةً قصيرة وحقيقيّة حدثت لي عندما غادرت الكونغرس الأميركي، وهذه هي العبارة الملطّفة لخسارتي في الإنتخابات. هنالك فترةٌ زمنيّة تلي الخسارة في الإنتخابات، يبقى المرء خلالها في منصبه يتابع تمثيله للشعب. والأمر أشبه من المنظور الوظيفي أو السياسي، بأن ينتظر المرء يقظته. حينها كنت لا أزال أتنقّل في ولاية فيرمونت حيث كان الناس لا يزالون بحاجة إلى المساعدة وكان هناك اجتماعٌ للمجتمع المدني في بلدةٍ صغيرة حيث كُنت على معرفة بالرئيس منذ سنين طويلة (ليست فيرمونت بالولاية الكبيرة). أقول كنّا على معرفة ببعضنا منذ زمن بعيد ولكنّ الموقف كانَ مؤسفاً لأنّ أحدنا لم يحِبّ الآخر كثيراً! في الواقع كانت تختلجنا هذه المشاعر منذ كنّا في الصف الثالث من المرحلة الإبتدائية. أوكلت إلى هذا الشخص مهمّة تقديمي (علماً بأنه كان قد فرح لخسارتي في الانتخابات!) وكان شاقاً عليه أن يضبط انشراحه، فتناول بيان سيرتي الذاتية، وأشكر الله أنّنا كنّا قد بعثنا إليه بالبيان القصير، وقرأهُ بالحرف الواحد ثم تراجع وقال: «والآن يسعدنا كثيراً أن نقدّم عضو مجلس النواب الأميركي، بيتر سميث، الرجل ذا المستقبل الرائع وراءه». أخبرتكم هذه الحادثة لأقول لكم إنني أتنفس الصعداء عندما يُبدي الناس كرماً اكبر، لاسيّما في المقدمات، وإنني أقدّر لكم ترحيبكم الحاربي.

بادئ ذي بدء، أودُ أن أتشاطر معكم بعض مشاعري الخاصّة حيال التعليم. غالباً ما نقفز إلى شرح الأوجه التقنية للمعطيات كفلسفة من دون أن نحاول أولاً شرح مَن نكون في فنّ التعليم نتيجةً لخبرتنا الذاتيّة. ولا بدّ لي، وأنا واقف أمامكم، من أن أقول لكم إنني بالضبط ما أبدو عليه. نشأت في وسط ميسور جداً وترعرتُ في عائلة مستقرّة ضمّت طعاماً وافراً وحُباً جماً. ويدهشني أن اكون قد ركّزت على مسألة التعلّم في مرحلة مبكرة جداً من حياتي. ولا شكّ في أنكم ستسمعون اليوم عن هذا الموضوع على مدى تعليقاتي لأن هذا هو السبيل لأُحافظ على عالمي مُنظماً وإلا لكان

## ملخص السيرة الذاتية للمؤلف

**السيد بيتر سميث،** هو مساعد المدير العام للتربية في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونيسكو - باريس وقد تسلّم عمله في 20 حزيران/يونيو العام 2005.

قبل انضمامه إلى اليونسكو، كان السيد سميث يشغل منصب الرئيس التأسيسي ورئيس مجلس إدارة جامعة ولاية كاليفورنيا في خليج مونتراي (CSUMB). كما شغل ما بين العامي 1991 و1994 منصب عميد كلية التربية للدراسات العليا والتنمية البشرية في جامعة جورج واشنطن (GSEHD) في العاصمة الأميركية واشنطن، بعد أن كان نائباً لرئيس جامعة نوريش فيرمونت في الولايات المتحدة الأمريكية (1986 - 1988).

السيد سميث من سكان ولاية فيرمونت الأمريكية، ومثّل ولايته في مجلس الشيوخ للولاية (1980 - 1982)، ليصبح في ما بعد نائب حاكم الولاية (1982 - 1986) ثم عضواً في مجلس النواب الأميركي (1989 - 1990).

بدأ بيتر سميث حياته المهنية في مجال التعليم العالي في العام 1970 عندما أسّس معهد فيرمونت وترأسّه. وحاز على شهادة دكتوراه في التربية في الإدارة التربوية والتخطيط والسياسية الإجتماعية من جامعة هارفارد سنة 1984.

للسيد سميث مقالاتٍ ومؤلفات عديدة في مجالات اختصاصه وكان عضواً في مجالس إدارة هيئات وطنيّة ودوليّة مختلفة، مثل لجنة الولايات للتربية ومجلس الأبحاث الوطني والمركز الوطني لنظم الإدارة في التعليم العالي ومنتدى كارنيغي حول التعليم والتنمية الإقتصاديّة.

ملتبكاً ومعقداً. فالتعلّم، بالنسبة إليّ هو نواةُ كلّ شئ وهو يُشكّل، عندما يتوافر، الحدث التحولي في حياة الناس. ما أقصده هو التالي، وقد تناولت بالأمس هذه النقطة مع البعض منكم: نحن ندركُ أن التعليم هو السبيل لإيصال العدالة إلى المجتمعات غير العادلة التي تحكمها قلّةٌ من الأشخاص ذوي النفوذ. وندركَ أن التعليم والتعلّم الرشيدين والتحضير المتبصر للتعليم هو السبيل الذي يمنح القوة للأفراد. بالتالي، نحن نُمثّلُ رمزياً، السبيل أو الجسر المؤدي إلى القوّة - قوّة الفرد - عبرَ التعليم.

هذه هي نظرتي إلى التعليم. وهي تنطبق بشكلٍ خاص عند الحديث عن التعليم المهني والعلاقة بين التعليم العالي وتهيئة القوى العاملة في إطار اقتصادٍ نشط دائم التغير. يجب ان يتكوّن لدينا تصورٌ للفرص التي يتوفر فيها عدد مناسب من المقاعد حول طاولة ما، وهدفنا أن يتوافر حول طاولة الفرص هذه مكانٌ لكل طفل وراشدٍ عامل قادر على الجلوس إلى هذه الطّاولة وقد اختارَ المجيء إليها، علماً بأن السبيل الوحيد للجلوس إليها يكمن في تعليم يمكّن المرء من التفكير النقديّ ومن اتخاذ القرارات والأحكام الخاصة به . وقد أثبتت لي خبرتي أنّ الحياة والأحداث قد تظلمُ الناس بشكل رهيب ولو أنّ ذلكَ لا يصحّ في حالتي. فأنا لم أخسر إطلاقاً أي معركةٍ لم أخترها، وقد أدرجُ خروجي من الكونغرس تحت هذا العنوان عينه. في الواقع كانت تلك طبيعة هذه الوظيفة لأنني مارستُ مهامي تماماً كما أردت ولكن تبيّن لي أن الناخبين في ولايتي رأوا أنهم لا يستسيغون نمطي الخاص في السياسة. لذا، لايمكنني أن أشتكي ممّا حصل، هذه طبيعة اللعبة. ومع ذلك، أظنُ أنه من العدل القول إنه من المهم أن يكون المرء متعلّماً وأن يتمكن من الإستمرار في التعلّم، وأُريد بذلك الولوج إلى عمق المغزى الأساسي لما نتحدّث عنه هنا.

فهذه قدراتٌ لا يمكن أن تُنتزعَ منكم. من الممكن أن تخسروا بيوتكم أو صحتكم أو أموالكم أو أعمالكم أو عائلاتكم، فهي كُلها أُمورٌ قد لا تتحكّمون بها، ولكن ما يجري في أذهانكم وقلبوكم بعدما تغنيها خبرة الحياة، فهذا خاصٌ بكم. ولهذا السبب، أرى أن فرصة التعلّم هي الشئ الوحيد والأبرز الذي قد نؤمنه لأيّ شخص أو أيّ مجموعةِ أشخاص أو أيّ مجتمع، وذلكَ لأن هذه الفرصة تقود إلى نوع من القوّة، قوة تقلق، بصراحة، بعض الأشخاص. فمن يعبأون بالسلطة ليسوا أصدقاء التعليم ولا يكنون له المودّة، ومن يرغبون في التحكّم بالآخرين لا يتعاطفون معه لأنه يُعتبر قدرة مزعجة حينما يتوافر لدى الفرد أو مجموعات الأفراد ويُستخدم من قبلهم. إذاً، هذا هو المحفّز بالنسبة إليّ، فمن خلال مجموعة متنامية من الخبرات توصلت إلى فهم ما أراه حقيقة جوهريّة حول التعلّم.

والآن، أريد أن أثير نقطة ثانية وهي أن منظّمة اليونيسكو تقوم بنشاطاتها وفقاً لغاية عالميّة؛ فإذا ما وحّدنا مُجمل وجهات النظر المتشابكة من المنظارين الوطني والإقليمي، أعتقد أن المصطلح الصائب لهذه الغاية يكون «التنمية المستدامة». بعبارةٍ أخرى، لا بدّ من وجود جواب على السؤال التالي: «التعليم لماذا؟» فالتعليم خيرٌ أخلاقيّ وشخصيّ ومجرّد. أطلعتكم للتو على مفهومي له؛ إلا أن على التعليم أيضاً أن يعمل ضمن سياق المجتمع - المجتمع الوطنيّ أو مجموعة إقليميّة من المصالح. وعليه أن يرتبط بأمورٍ أخرى كالإقتصاد ومفهوم التواصل المنفتح والعدالة الإجتماعية ومفهوم التوازن البيئي والحماية. كما يجب ان يتّصل بمجالات أخرى ذات أهمية خاصّة بالنسبة إلى بلدٍ ما أو منطقةٍ محليّة معينة، ويعني ذلك وجوبَ أن ندركَ ما نحن فاعلون ليس على نطاق الفرد فحسب، إنما أيضاً على نطاق التوقّعات التراكميّة والحاجات ووقع كل ذلك على المجتمع.

يبدو لي أن الفكرة الكبرى الكامنة وراء التعليم هي الفكرة الكُبرى عينها التي كان أجدادي وربما أجدادكم ايضاً، ليتكلّموا عنها في ما لو بحثوا في موضوع التعليم. ولستُ على وشك أن أطلق حملة دفاع عن الأكاديميّة التقليديّة ولكنّني أقول لكم إنّنا لو اعتقدنا، ولو للحظة، أنه بإمكاننا أو من واجبنا، أن نقدّمَ لطلاّب القرن الحادي والعشرين شيئاً ذا قيمة مختلفة، فقد نكون عندها نرتكب خطأً جسيماً. أعني أنّنا بذلك نغدرُ بالطلاب وربّما أيضاً بمجتمعاتنا.

لطالما كان التعليم أبرز الإستثمارات التي تقوم بها المجتمعات. فالسبب الذي يدفع المزيد من الناس إلى طلب المزيد من التعليم، والسبب الذي يحدو بمن يعملون على هامش المجتمع إلى السعي وراء التعليم، هو الرغبة في الالتحاق بالتيار الرئيس مع الآخرين وشركائهم.
وفيما يزداد تقديرنا للتعليم وللاستثمار فيه ويتعزّز التزامنا بهما تحت تأثير اقتصادياتنا

المتطوّرة، سوف يتغيّر إدراكنا للأنواع الجديدة من المهن والفرص، وربما أيضاً للتحوّلات المهنية المتعدّدة مدى الحياة. أعرف أن آخرين سيتناولون هذه المسائل في حديثهم ولكن لا بدّ لنا من أن نفهم أنّ في قلب هذا الوضع أشخاصاً متعلّمين ليسوا سمكريين أو كهربائيّين أو تقنيّي كمبيوتر بل أشخاص تعلموا ليفكّروا بطريقةٍ نقديّة وليحلّوا المشاكل، وليعملوا ضمن فريق، وليتمتعوا بالقدرات التحليلية، وليفهموا كيف يتعلّمون بُغية اكتساب المزيد من العلم. على هؤلاء أن يصلوا إلى درجة من العلم تمكّنهم من التحلّي بالثقة في مواجهة الأوضاع الملتبسة والصعبة في مكان عملهم أو في حياتهم. هذه هي الصفات التي نريدها في القوى العاملة وأتّفق معكم على أنّها الصفات التي نحتاجها في أيّ مجتمع كان وهي الصفات عينها التي أرغبها لأولادي وأحفادي. من الضروري أن ندركَ في صميمنا وفي تحديدنا لأهدافنا، أنّ هناك فرقاً بين كيفية استخدام المرء لما تعلّمه، ومعنى أن يكون المرء متعلّماً. بالطبع أنا عليم بالوضع في بلدي أكثر من أيّ مكانٍ آخر وقد أخطأتُ في بعض المناسبات عندما فصلت بين الحالات وحدّدتُ تعريفات مختلفة لكينونة الشخص متعلّماً.

لقد شاركت في برامج تعليميّة تعمّد فيها تعليم شيئين. أولاً نُعلّم المحتوى: العلوم والرياضيات والعلوم الإجتماعية أو أيّ مادّة أخرى. ولكن، في الوقت نفسه، نعمل مع أساتذتنا والخبراء في الجامعات التعليميّة (ونلجأ في الولايات المتّحدة إلى أنواع متعددة من النماذج). فمن خلال الأساليب التربوية التي يستخدمونها وما يطلبونه من المتعلّمين، نريدهم أن يساعدوا هؤلاء بشكل واضح على تنمية القدرة على فهم كيفية تناول المشاكل وحلها، أي القدرة على التفكير النقديّ. ولدى التعاطي مع نتائج التعلّم ضمن هذه التجارب، لا نكتفي بقياس المعرفة، إنّما أيضاً نقيّمُ قدرة المتعلّمين على تطبيق المعارف والمهارات والإمكانات التي كانت تشكل الهدف الأساسي دورة الدراسية. كما نقيّم القدرة على إثبات الإلمام بالتفكير النقدي أو التحليلي المصقول، والقدرة على حلّ المشاكل والعمل الجماعي. ونولي الأمرين ثقلهما لأنّ كليهما ذي شأنٍ كبير.

لذا، أقول لكم انه من الممكن التركيز على سؤالٍ في غاية الأهميّة ألا وهو: هل نعرف كيف نُعلّم على مستويين، وفي حال الإيجاب، هل نحن على استعدادٍ دائم لأن نحاول القيام بذلك؟ فالمستوى الأوّل يتمثل في المحتوى، أما الثاني فيكمن في قدرات ذهنيّة أوسع، وأكثر ثباتاً نريد للمتعلّمين أن يكتسبوها.

أتمنى لو كان باستطاعتي أن أقول لكم إنني تعلّمت كل ذلك في جامعة برنستون أو جامعة هارفارد ولكنّهم هناك لم يعلّموني أيّ شيءٍ من هذا. من الممكن الآن أن نكون قد وصلنا إلى ما يسمى «البصيرة الناصعة». ربما انا مخطئ في هذا الطرح ولكنَ خبرتي تشهد لي بعكس ذلك. فواقع الأمر هو في كيفيّة القيام بهذه القفزة من الكمّ الكبير من المعرفة حول موضوع ما – أكان في مجال التكنولوجيا الجُزيئيّة أو الذريّة اليوم، أو في التاريخ الأميركي أو الروسي (منذ خمس وأربعينَ سنةً في حالتي) – إلى القدرة على التفكير ذهنياً في المشاكل والمعضلات. كيف تدركون القواسم المشتركة في الظروف المختلفة؟ كيف تحلّلونها؟ يتمّ ذلك بالتناضح، ويمكنني أن أقارنه بالحالة في فيرمونت منذ بضع سنوات عندما كان لدينا الكثير من المزارع الصغيرة لتربية الخنازير وقد جرت العادة أن يفرش السماد في الحقول حتى تنبتَ تبناً وذرةً أفضل ولطالما فكّرت في أنّ مهارات التفكير النقدي – الجزء الذي تقول الجامعات إنّها تقدّره كثيراً – لهي شبيهةٌ بعمليّة تسميدٍ لحقل تجري من طائرة على علوّ عشرة آلاف قدمٍ في الجو، وتقوم العمليّة هذه بشكل أساسيّ على التحليق فوق الحقل وعلى رمي السمادٍ مع التمنّي بأن يحطّ على شيئ ما. إذاً هم على علم بالصلة بين دراسة المحتوى والاستخراج الفعليّ للمهارات الفكرية العامّة والرفيعة المستوى وإنّما تبقى الروابط غير واضحة.

اليوم نحن نتمتّع بما يكفي من المعرفة حتّى نجعل هذه الصلات واضحة كما نتمتّع بما يكفي من المعرفة حتّى نعطي كلّ متعلّم ذلك النوع من القيمة إذا ما اخترنا في الواقع أن نفعل هذا. وهنالك نقطة أودّ أن أتجنّبها- وأحثّكم أنتم أيضا على تجنبّها- وهي ما أدعوه الشرك العلاجي. فكثير ممّا نقوم به مبنيٌّ على الافتراض بأنّ الشخص أو مجموعة الأشخاص يحتاجون للحاق بالركب، لكنّ السؤال يكون عندئذٍ: اللّحاق بركب ماذا؟ وأثر ذلك أنّه يتركّكم من دون أيّ خطّة إيجابيّة، للشخص أو المجتمع أو الناس الذين تفكّرون بهم. وبهذا الصدد، تكوّنت لديّ وجهة نظر على أساس تجربتي والأبحاث التي اطّلعت عليها وهي أنّ من يفشلون في المدرسة لا يفشلون لأنّ القدرة على التعلّم تنقصهم، بل لأنّنا لم نستعمل القدرة حتّى ننجح معهم. فهم

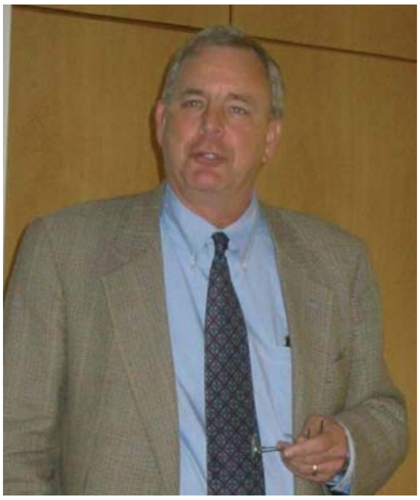

السيديبتر سميث، المدير العام المساعد لشؤون التربية، اليونسكو باريس يلقي كلمته في المنتدى الدولي بعنوان: «المضمون المهني في التعليم العالي الشامل: إستجابات لتحديات سوق العمل وموقع العمل».

لا يتلاءمون وتعريفاتنا ولا هم يتلاءمون مع أساليبنا التربوية. ويصبحون أشخاصاً فاشلين لأنّنا نحن المهنيّون المحترفون لم ندرِ كيف ننظّم تعليمنا ليستجيب لمتطلّباتهم أو لم نعبأ بالقيام بذلك.

لهذا، أنا لا أحبّذ العلاج لأنّه يوحي بأنّ هناك مرضاً منسوب إلى الطالب. وأظنّ أنّ المشكلة تكمن في عدد كبير من الحالات، ربّما أكثر ممّا نحن على استعداد لأن نعترف به (الأمر كذلك في الولايات المتّحدة) في التنظيم وفي الافتراضات الخاصة بالمدرسة والمعلّم. وأكون مسروراً لو استطعنا أن ننظر في عمق هذه المسألة إذا ما أثارت اهتمامكم وإذا ما توافر الوقت.

أنتم تعملون في مجال التربية والتعليم وموضوع هذا المؤتمر يتلخص في كيفية إيصال القدرات البشريّة الكامنة عند أكبر عددٍ ممكن من الناس في مجتمعاتنا إلى أقصى حدودها، من خلال التعليم. وهنا، علينا أن نفهم أنّه لا بدّ من وجود علاقة مطلقة ما بين النتائج المهنيّة والقدرة على النجاح في المجالات المهنيّة وشبه المهنيّة. فكيف نصبح مؤهّلين عندما يواجهنا اقتصادٌ وقوّة عمل متغيّران وناشطان؟ ودعونا نفهم أنّنا في ما لو أردنا للناس أن ينجحوا – ونحن نقول إنه لا بدّ لهم من ذلك للاستمرار في الحياة – لا يكفي أن يكونوا مهيّئين للاضطلاع بعمل ما فحسب، إنّما عليهم ايضاً أن يتحلّوا بالقدرة على التفكير، أي أن يكونوا متعلّمين.

يبدو لي أنّ هدفنا هو أن نعدّ أشخاصاً مفكّرين. وأظنّ انه يمكننا أن نعتبر مقاربتنا ناجحة إذا ما أفضت إلى أكبر عددٍ ممكن من الناس المفكّرين المستعدين أيضا للتوجّه إلى العمل من اجل مستقبل عملوا أنفسهم على البحث والتعلّم عنه، وها إنّي أرى بعض هذا في المواد المنشورة. أقول انطلاقاً من خبرتي إنّكم عندما تسدون النصح إلى أحد ما حول مهنة معينة، يُعتبر ذلك تمريناً فكريّاً ولكن عندما تطلبون منه أن يقوم بالتقّصي عن المهن والاختصاصات والنظر فيها، يتحوّل الأمر عندئذ إلى مشروع تعلّم. وفي هذه الحال، يكتشف هذا الشخص المزيد ويتعلّم أكثر بكثير ويبدأ باتّخاذ قراراته الخاصّة.

كيف لنا أن نحقّق هذا الهدف؟ أرى أنه علينا أن نقوم ببعض التغييرات في مبادئ علم التربية التي نتّبعها.

التغيير الأوّل الذي ألتزم به كثيراً هو وضع حصيلةٍ للتعلّم لأنّ من يتلقّون العلم لهم الحقّ في معرفة ما الذي نتوقّعه منهم وما الذي نعتبره نجاحاً وما هو العمل الجيّد. إلاّ أننا حالياً نخفي هذه الأمور عنهم ونكتفي بأن ننصحهم ببذل قصارى جهدهم ثمّ نطلعهم على التقدير الذي حصلوا عليه أكان من درجة «أ» أو «ب». أمّا في التجارب التي قمنا بها فقد أعطينا الطلاّب أمثلة عن العمل الجيّد في شكل بيانات أو أوراق عمل أو مشاريع حتّى تتكوّن لديهم فكرة واضحة حول ما يبدو عليه العمل الفكريّ الممتاز. كما وأطلعناهم على ما نتوقعه منهم لينتجوا النوعيّة عينها من العمل. وجاءت نتيجة هذا التدبير بأن ازداد عدد الطلاّب الذين تحسّن أداؤهم لأنّنا لم نبق ما كان متوقّعاً منهم سرّاً. بالطبع، كان لا يزال مفترضاً بهم أن يتمّموا واجبهم والعمل المنوط بهم، واستمرّ الانتحال انتحالاً والنسخ نسخا (وقد خبرنا جميع تلك المشاكل ولسنا الوحيدين). ويبقى السؤال: لمَ لا نقول للناس ما الذي نتوقّعه منهم؟

إذا كان أحدكم شخصاً مهمّشاً ولا يعرف ما المطلوب منه، فهو حينها يقع أكثر تحت رحمة المعلّم أو الأستاذ الذي يقف أمامه بسلطة لأنّه، أي المعلّم، يحمل بيده مفتاح مستقبل هذا الشخص الجاهل للقواعد. لذا أقول إنّ وصف حصيلة التعلّم وأهدافه أمر هام لأنّه مرتبط بالمواصفات الفكريّة التي تريدون تعزيزها ومتّصل بالكفاءات الموجّهة نحو الوظيفة التي تبحثون عنها وبالتصوّر الوظيفي الذي يفيدكم به القطاع الخاص أو غيره من القطاعات. فنحن إذا بحاجة لأن نضع أنفسنا في موقع يمكّننا من أن نوضح منذ البدء ما الذي نبتغيه.

ثانياً أنا أرى، من وجهة نظري الشخصيّة، أن التعلّم الملتزم، والتعلّم المتمحور حول المشاريع، أي التعلّم الذي لا يتمّ على حدا، هو السبيل الذي علينا أن نتّبعه. ويثير اهتمامي أن ألحظ أنّ العمل الفكريّ أو الأداء الذي نتوقّع من الطلاّب أن يقدّموه في المدارس يأتي تقريباً في آخر لائحة الأمور التي يرغبون القيام بها بمفردهم. فإذا ما ثابرنا على مطالبة الناس بالعمل بمفردهم – أكان ذلك في قراءة الفيزياء أو الكيمياء أو في التعلّم ليصبحوا علماء في الطبيعة الفلكيّة – يعني ذلك أننا ندرّبهم على أن يكونوا مستقلّين في عالم حيث الاستقلاليّة هي تقريبا الشيء الأوّل الذي يعرف جميعنا أنّنا لا نريده في المجتمع أو ضمن القوّة العاملة. وليكن واضحاً أنّ الطلاّب سيتعلّمون التصرّف على النحو الذي تمّ تدريبهم عليه. يمكنني القول انطلاقاً من المعاني والخبرات، وهو ممارسة يمكننا أن نقوم بها في الأدب والكيمياء والفلسفة وفي أيّ دراسات مهنيّة. فالطلاّب الذين يتعلّمون كيف يفكّرون بتأنٍّ، يتحوّلون إلى مكتسبين للعلم على مدى الحياة. الأمر شديد البساطة وإذا ما أردتم معرفة من أين تبدأون فليس عليكم سوى أن تسألوا الطلاّب أن يتأمّلوا بحياتهم الخاصّة: كيف توصّلوا إلى ما هم عليه؟ لماذا يفعلون ما هم فاعلون؟ وكيف يظنّون أنّهم يريدون التصرّف في مستقبلهم؟ يندرج كل ذلك ضمن ما يُعرف بالخبرة التي لم تضطر غالبيّة الطلاّب أن تفكّر فيها يوماً. هؤلاء الطلاب يجهلون لماذا هم في موقعهم ولا يعلمون حقيقةً إلى أين يودّون الذهاب. أمّا أنتم وعبر جعلهم يمعنون النظر بحوافزهم، فإنّكم تبدأون بتنمية قدرتهم على أن يكونوا طلاّب علم مدى الحياة. أنا أرى وجوب أن ندرج التفكير المُمعن كعنصر أساسي في علم التربية لأنّه المفتاح. جميعنا يتحدّث عن التعلّم مدى الحياة، ومن يكتسبون العلم بشكل مستمرّ، هم أشخاص يمعنون التفكير، وهم قادرون على النظر إلى المواقف وعلى فهمها والتصرّف حيالها. التفكير الممعن

*... لا يمكن التخطيط لحياة الناس. يمكنكم مساعدة هؤلاء على اكتساب القدرة على تحسين حياتهم وإنما لا تستطيعون أن تعرفوا مسبقاً إلى أين سيؤدّي بكم عملٌ ما. وبناء عليه، هدفنا يجب أن يكون صيرورتنا أشخاصاً مفكرين قادرين على العمل.*

خبرتي إننا نحتاج إلى إعادة التفكير في أصول علم التربية التي نلجأ إليها لأنّ تعزيز تعليم الطلاب، في السبيل الذي نريد انتهاجه، منوط بالطريقة التي نقدّم بها تربيتنا وبما نسأله من هؤلاء الطلاّب أفراداً أو جماعات. ولا شكّ في أنّكم تعرفون ذلك القول المأثور الذي مفاده أنّ المرء يحصد ما يزرع، ويصبح كلٌّ منّا على نحو ما قد تمّت معاملته. ويدهشني أنّنا لم نعِ إلى الآن الأثر الهائل الذي تخلّفه طريقة تعليمنا للناس عليهم وما يتبعها من أنماط لتصرّفهم في الحياة وفي العمل. باختصار شديد، أعتبر شخصيا علم التربية غاية في الأهميّة.

وصلنا الآن إلى الأمر الثالث والأكثر أهميّة بالنسبة إليّ- ومن الممكن أن يصفه الواحد منّا بأنّه الأبرز في البرامج المتمحورة حول القوى العاملة والمهن- ألا وهو التركيز على ما قد أدعوه التفكير المُمعن. في الواقع، الإمعان في التفكير هو العمليّة التي من خلالها نستخلص يذهب إلى ابعد من ذلك، أعني انه القدرة على النظر إلى الخبرة الواسعة من زوايا عديدة ومن ثمّ استخلاص المغزى من هذه الخبرة، باختصار، انه التعلّم. أكنتم تفحصون تصرّفكم الشخصيّ، أم تحاولون حلّ معضلة فكريّة معقّدة فهذا يندرج ضمن التعلّم، أي عمليّة خلق المغزى. أنا أظنّ أنّ التفكير المتأني يكمن في قلب هذه العمليّة، ونحن بحاجة إلى أن ننظر في نماذج جديدة إذا ما أردنا أن نعدّ أشخاصاً مفكّرين في القوّة العاملة.

شخصيّاً، أرى أنّ الالتقاء هو الخطوة الأولى وأعني بذلك التقاء المناهج. سبق لي وأن قرأت عن الموضوع، لكنّني أظنّ في الحقيقة أنّه علينا أن نفكر في بعض السبل الجديدة للعمل وسوف أسهب في الشرح بعد قليل. في صلب المسألة، أجد من واجبنا كمربّين وكأرباب عمل أن نجد طرقاً حديثة تحوّل مكان العمل إلى مكان تعلّم. فمكان العمل هذا هو، في الواقع، موقع تجري فيه عمليّة التعلّم على نحو غير رسميّ وأحياناً على نحو رسميّ حتّى لو لم

نعترف بذلك دائماً. وبقليل من المساعدة، قد يتحوّل مكان العمل إلى مختبر يخوّلنا التعلّم ونحن منخرطون بشكل ناشط في المهنة التي نمارسها. وعندها باستطاعتكم ان تعملوا على تحسين نقاط ضعفكم. أيودّ المعلّمون أن يتقدّموا في أدائهم؟ فليس أفضل من الصفّ لتحقيق ذلك. ستتحسّنون كمعلّمين داخل مختبركم وهو في هذه الحال الصفّ، الذي يُعتبر بالنسبة إلى المعلّم مكان عمله. بالتالي، يمكنكم القيام، في غرفة الصفّ، بتمارين فكريّة حول كيفية تقديم التعليم بطريقة أفضل. لقد اخترت هذا المثل، لأنّنا قليلاً ما نفكّر في قاعة الدراسة على انها مكان للعمل وهي كذلك للمعلّم.

أظنّ أنّ ثمّة نماذج يجب النظر فيها حول موضوع مراحل التعليم وتواتره. آمل أن نستخدم هذه النماذج في هذا القطاع حيث ينصب اهتمامنا ابتداءً من نهاية الصفّ العاشر إلى السنة الدراسيّة الرابعة عشرة، أي ما يمكن ان نعتبره موافقاً للسنتين الأولين في معرفة أكّاديميّة ذات الصلة بما يقومون به في وظائفهم، جاعلين بذلك العمل جزءاً من التعلّم والتعلّم جزءاً من العمل. هكذا يعيشون تواصلاً جديداً بين التعليم والعمل في مقابل التعليم كغاية بحدّ ذاتها. برأيي أنّنا إذا ما رفعنا أربعة عشر عاماً من التعليم حاجزاً في وجه المرء عليه أن يتخطّاه قبل أن يتمكّن من مزاولة أيّ عمل، فسيتعذّر ذلك على العديد من الناس لأسباب اقتصادية، إذ انه سيشكّل جبلاً شاهقاً يصعب تسلقه، سيّما وأنّ هذا التسلّق لا يعود ضروريّاً بعد سنّ السادسة عشرة.

نحن نوفّر أربع عشرة سنةً قيّمة، فإذا فرضنا على الطلاّب إتمامها قبل الشروع بالعمل، ماذا نكون قد فعلنا؟ سبق لنا أن قلنا إنّنا قادرون على تعليمهم ما هم بحاجةٍ إليه في ما بعد. أن نلقّن الناس مجمل ما يحتاجونه في خلال الأعوام المدرسيّة لأمرٌ يفوق طاقتنا لأنّ

*... لدينا النية في وضع التكنولوجيا في خدمة التعلّم؛ فإذا شئنا أن يصبح مكان العمل مكاناً للتعلّم ولتقييم التعلّم المسبق وانجاز جميع الأمور الأخرى، تعتبر التكنولوجيا عندئذٍ عنصراً جوهريّاً لتحقيق المراد.*

الكليّة. هذه هي حقبة يكون فيها الطلاّب، في بلدان أكثر تطوّراً، قد وطئوا عتبة سنّ الرشد وشرعوا بالتفكير في ما سيمتهنونه من اختصاص أو في مزيد من التحصيل العلمي. إلاّ أنّ فرصة العمل تحمل في طيّاتها خياراً آخر، ألا هو خيار العمل والتعلّم في الوقت عينه؛ بعبارة أخرى، فرصة التحرّك بمرونة إقبالاً وإدباراً. وهنا نشير إلى أنّ الطلاّب لا يبحثون عن العمل وهم في سنّ السابعة عشر لخوفهم من ألاّ يتمكّنوا من العودة إلى المدرسة، ولجهلهم كيف يستطيعون الى ذلك سبيلاً. فما أن يشرعوا بالعمل حتّى تبدأ شهيّة المال تنمو لديهم وها هم فجأة ينغلقون في ما يمكن ان ندعوه «الصندوق المخمليّ».

وتيرة تدفّق المعطيات الجديدة تغيّرت وها إنّ المعلومات والمعرفة تسابقنا جميعاً. إذاً إسمحوا لي أن أدافع عن رأيي بأنّ التفكير بالصلة بين المدرسة والعالم الخارجي لا يقتصر على كونه فكرة مثيرة للاهتمام، بل انّه سيبدّل تنظيم ما نقوم به، ويبدّل حياة من يتلقّون العلم، كما وسيغيّر العلاقة بين المدارس أو قطاع التعليم، إذا شئتم، والقطاع الخاص. هذا التفكير بالذات سوف يغيّر وجه الفرص المتاحة بالكامل.

بقي لي فكرتان إثنتان قبل أن أنهي كلمتي. هناك أمر تعمل عليه مجموعتنا في معهد اليونسكو للتربية وبعضكم على معرفة به. أشير هنا إلى الالتزام بتقييم التعلّم الذي اكتسبه الطلاّب والمتعلّمون خارج المعهد الدراسي (وها إنّي أقرّ بأن قد سبق لي وقرأت عن الموضوع منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً أي قبل أن يثير الموضوع اهتمام أحد فعلاً). من واجبنا أن نجد طريقة لنستجمع هذه القدرة الضائعة. في الواقع، تتميّز قوّتنا العاملة باطّلاعٍ أوسع ممّا نعترف لها به، لأنّ

من الضروري أن نجد طريقة تسمح للناس بالعمل والدراسة في آنٍ معاً، أكانوا في السابعة عشرة او السابعة والثلاثين او السابعة والخمسين من عمرهم. باستطاعتهم استكمال تعليمهم الثانويّ والاستمرار في العمل في المكان نفسه أم تغيير وظيفتهم، واكتساب

الموظّفين في حالة تعلّمٍ مستمرّ، وهم يشاركون في ندوات ودورات تدريبيّة، إلاّ أنّنا لا نربط ذلك بالمهارات ذات المستوى الأعلى (مستوى تعليميّ أعلى). ونرى أنّهم، في حالات كثيرة، يُحاصرون في أعمالهم لأنّنا نجهل كيف نعترف بقيمة التحسّن الذي أنجزوه وما الذي اكتسبوه من تعليم إضافي.

أعتقد أنّ أوروبا تقدّمت على الولايات المتّحدة في هذا المجال؛ ومع ذلك، فإنّ هذا البرنامج حيويّ في كلّ مكان، فمن المنتفع في نهاية المطاف؟ الناس يعرفون أموراً كثيرة وبمقدورهم أن يضطلعوا بأمور شتّى ولكنّهم لا يحظون باعتراف بذلك، ممّا يجرح كبرياءهم، فلا ينالون مكافأة عليه لا في العمل ولا في المجتمع ممّا يؤذي الإقتصاد.

بموازاة ذلك، لا يكسب أصحاب العمل أيضاً لأنّهم يهدرون القدرة الجاثمة أمامهم. أظنّ أنّه علينا أن ننظر في هذا الشأن. فقد نفكّر بأن نستثمر مع أصحاب العمل والمشاريع لنحوّل أماكن العمل إلى مواقع تعلّم، وتفيدني خبرتي أنّنا لم نعد في القطاع العام. برأيي أنّنا لا نستطيع رسملة التعليم المهني أو الوظيفي لأنّنا كلّما ارتفعنا في المستوى كلّما ازدادت الكلفة، فبإمكانكم أن تدفعوا وتحصلوا على هذا التعليم على الخطّ الإلكتروني.

أنهت واحدة من جامعات تقنيّة ثلاثة هي الأكثر شهرة في العالم بناء كلّف 750 مليون دولار. الا ان المبنى سرعان ما اصبح قديماً و وبالياً منذ اليوم الأول الذي فتحت فيه هذه الجامعة ابوابها. اليوم، لا تزال هذه الجامعة إحدى أفضل صروح العلم قاطبة، ولكن ماذا كان ليحدث لو أنّ القيّمين عليها استثمروا ذلك المبلغ عبر طرف ثالث في سلسلة من الأعمال ولجان الدراسة والخبراء؟ وأشير هنا إلى هيئات هي في واقع الأمر ملتزمة بنفس نوع إنتاج المعرفة والتطوّر الذي تهتمّ به هذه الجامعة وتريد تقديمه لطلابها. ذلك تفكير جانبيّ، إنّما لن يحصل بسبب من نتحدّث عنهم، فهم يحتاجون هويّتهم إلى درجة لا تسمح لهم بخسارتها في تعقيدٍ ما.

في حال أردنا أن يجد الناس الأبواب مشرّعة أمامهم على أحدث المعطيات وأفضلها، أعتقد أن لا بدّ لنا من أن نطرح على أنفسنا بعض الأسئلة الصعبة. لربّما تتوقّعون أن يتحقّق ذلك فقط عبر استثمارات فرديّة أو عامّة في أماكن التعلّم. ولكن آسف أن أؤكّد لكم بكلّ

احترام على أنّ تلك الأيّام ولّت، وعلينا أن نعترف أنّنا نعرّض أنفسنا لخطرِ أن يمضي الزمان علينا. ينبغي في وضع كهذا أن نجد سبلاً مختلفة نقدّم من خلالها استثمارنا في التعلّم وابتكارات التعلّم وأن نجعل هذه السبل تتماشى مع قوّة القطاعات الخاصّة والمختلطة، وهو التوجّه الحالي، والحدّ التنافسي.

يمكننا بشكل ما أن نميّز بين نقاط القوّة لدينا ونقاط القوّة لديهم، وأن ننتقل من قوّة إلى قوّة لصالح المتعلّم. فعندما يفوز المتعلّمون يفوز أصحاب العمل والمجتمع أيضا، ويكون الفوز فوز الجميع. أقول لكم إنّنا حقّا نحتاج الى التفكير في هذا الأمر.

النقطة الثالثة التي أودّ أن أتطرّق إليها هي ضرورة الاستثمار في التكنولوجيا بنسبة اكبر بكثير ممّا فعلنا حتّى الآن. أسمعكم تتساءلون: كيف لنا ان نحقّق كل ذلك؟ في الواقع، لا أدري! في غالب الأحيان لا تزال تكنولوجيا الاتّصالات تستخدم في التعليم على المستويات كافّة كطريقة مغايرة للقيام بالشيء عينه كما في الماضي. ربّما كان على معاهد اليونسكو ان تتدخّل لتغيير هذا الوضع القائم؟ أنا مثلاً أرغب في أن أرى تلك التكنولوجيّات تُستعمل لتبدّل دورة التعلّم، فالتكنولوجيا تبدّل فهمنا للزمان والمكان والمسؤوليّات، كما وتقلب العالم رأساً على عقب.

ومع ذلك، لدينا النية في وضع التكنولوجيا في خدمة التعلّم؛ فإذا شئنا أن يصبح مكان العمل مكاناً للتعلّم لتقييم التعلّم المسبق وانجاز جميع الأمور الأخرى، تعتبر التكنولوجيا عندئذٍ عنصراً جوهريّاً لتحقيق المراد. وأقول بهذا الصدد إنّنا طالما نحن نعتبر التكنولوجيا نفقةٍ إضافيّة، فلن نستعملها على أنّها مورد كما هي فعلاً. أنا لا أعتقد ولا لدقيقة واحدة أنّ التكنولوجيا تجيد القيام بالمهام بمفردها، ولكنّي أعتقد أنّ علينا بذل المزيد من الجهود لنجعلها أداة تحويلية، لأنّ موضوعنا اليوم هو موضوع تحويليّ، وكونه مألوفاً لكم لا يقلّل من هيبته. لا يمكننا ردم الهوة بين الاستثمارات العامّة في النماذج التقليديّة والوجهة او الموقع اللذين نريد بلوغهما من دون التفكير في أساليب حديثة للتعليم والتعلّم وتنظيم قطاع التربية والتعليم، ونظراً لذلك، وجب أن نبدي جديّة أكبر إزاء التكنولوجيا.

تخرّج ابني الأصغر من الجامعة حديثاً، وهو يرغب في أن يكون مراسلاً صحفيّاً. لديه في الوقت الراهن عمل رائع، فهو عضوٌ في جماعة كتّاب. يجيد ابني الكتابة والتأليف فقد كان يكتب في صحيفة المدرسة، ولكن ماذا حصل؟ قال له العاملون في المهنة: الحمد لله أنّك لم تنل شهادة جامعيّة في الصحافة، فقد أردناك أن تتعلّم كيفيّة التفكير ويلزمنا أن نعرف أنّك قادرعلى الكتابة. كما نودّ أن نتأكد من أنّك تبلي البلاء الحسن في غرفة الأخبار وأنّك أهلٌ للثّقة، ونحن نهتمّ بالباقي». وهذا لبّ الموضوع: أن يكون المرء قادراً على التفكير وأن يتعلم ويكتسب مهاراتٍ خاصّة لتأدية عمل ما – مهاراتٍ فكريّة خاصّة – وأن يعلمَ ما هو فاعلٌ لأنّ هذا هو الأساس: أما بالنسبة إلى حركية سوق العمل، فالصفة الأبرز تتمثل في كونك شخصاً مفكراً ومتأنياً.

ندينُ بقسطٍ كبير إلى الصدف في هذا المجال، وأنا لا أعتقد أن الولايات المتّحدة تحتكر هذا المجال فاكتشاف الأمور من غير قصد مسألة تتطلّب حظاً وافراً إذ لا يمكن التخطيط لحياة الناس. يمكنكم مساعدة هؤلاء على اكتساب القدرة على تحسين حياتهم وإنما لا تستطيعون أن تعرفوا مسبقاً إلى أين سيؤدّي بكم عملٌ ما. وبناء عليه، هدفنا يجب أن يكون صيرورتنا أشخاصاً مفكرين قادرين على العمل.

أشكركم على إصغائكم لعرضي المعنون «البصيرة الناصعة». وقد كان من دواعي سروري وجودي معكم.


**يونيفوك**

المركز الدولي للتعليم والتدريب التقني والمهني – بون؛ النسخة العربية تصدر بالتعاون مع مكتب اليونسكو الاقليمي – بيروت

منتدى يونيفوك هي ملحق لنشرة اليونسكو- يونيفوك وتصدر باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والاسبانية:

<< **نسخ مطبوعة**؛

<< **نسخ رقمية** بواسطة Adobe Acrobat (على شكل PDF)؛

<< **على الموقع**:
www.unevoc.unesco.org/bulletin

لإيجاد عناوين الناشرين باللغتين العربية والبرتغالية يتعين مراجعة الصفحة الأخيرة من النشرة رقم 11باللغتين المعنيتين.

ويمكن نسخ وإعادة طبع وتوزيع النشرة مجّاناً (كاملاً أو جزئياً) شرط ذكر المصدر.

**الناشر**: المركز الدولي للتعليم والتدريب التقني والمهني – بون (مركز اليونسكو- يونيفوك الدولي).

**المحرر المساعد**: السيد جون فوكس
**رئيسة التحرير**: السيدة ماجا زاريني
**المحررة**: السيدة ناتاليا ماتيفي
**الترجمة العربية**: السيد سليمان سليمان



إن المؤلفين مسؤولين عن اختيار وعرض الوقائع الواردة في نشرة منتدى – يونيفوك وعن الأفكار المعبّر عنها في النشرة، ولا تعبّر بالضرورة عن آراء اليونسكو ولا تلزمها.

إن الأسماء المستعملة أو البيانات الواردة في هذه النشرة لا تعبّر إطلاقاً عن رأي اليونسكو حول الوضع القانوني لأي بلد، مقاطعة، مدينة، أو منطقة، أو سلطات فيها، أو حدودها الوطنية، ضمن المجال المحدد والمتعارف عليه.